



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جامعة الإسكندرية  
كلية الآداب

مكتبة

أ.د. محمد عبد الحميد عيسى

نقدية

الاندلس : الدرس والتاريخ

١ إلى الفترة من ٢ - ١٤١٤/١١/٤ هـ ، ١٣ - ١٩٩٤/٤/١٥ م

ملخصات

بحوث النقدية

مركز المؤتمرات بالشاطئ

الإسكندرية

## التضامن الإسلامى ، وأثره فى تحقيق قوة المسلمين فى الماضى

أ . د . محمد عبد الحميد عيسى

جامعة عين شمس والإمام محمد بن

سعود الإسلامية

يحرص الإسلام فى جوهره على وحدة البشرية بصورة عامة ، فجاءت معظم آيات القرآن الكريم مخاطبة البشر عامة دون اعتبار للون أو جنس أو غير ذلك وكان القرآن واضحا محددا فى إعلام الناس لوحدة الأصل مذكرا إياهم بأن التباين فيما بينهم يجب أن يكون عامل وحدة وتقارب لاعامل فرقة واختلاف فيقول الله عز وجل فى كتابه الكريم : " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم .. " .

فإذا كان هذا هو موقف الإسلام من البشرية عامة ، فإن ذلك أيضا هو موقفه من المسلمين خاصة ، فجاءت آيات القرآن الكريم ، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منادية بالوحدة بين المسلمين ، يقول الله تعالى مخاطبا إياهم : " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا " كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " .

ان المتابع للتاريخ الإسلامى يدرك ببساطة شديدة وجود ارتباط وثيق بين وحدة المسلمين وعزتهم ورفقيهم ، وبين اختلافهم وتدهور أوضاعهم ، وتلك هى حكمة تاريخ المسلمين ودرسه الناصع على مدى القرون الطويلة .

كما أن الدارس للتاريخ الإسلامى يرى بوضوح شديد أن فترات الوحدة الإسلامية وتضامنها تحت قيادة واحدة هى نفسها فترات توسع الدولة الإسلامية وانتصاراتها

الخالدة وليس أدل على ذلك من أن فترات توسع الدولة الإسلامية الى اقصى اتساع لها ، وكذلك انتصاراتها الخالدة من بلاد ماوراء النهر شرقا الى الأندلس شمالا انما تزامنت مع وحدة الدولة الإسلامية وتضامنها تحت قيادة الخلفاء الراشدين وخلفاء بنى أمية والعصر الأول من دولة بنى العباس .

فإذا ما أهل القرن الرابع الهجرى وبدأ تفكك الدولة الإسلامية وتفسخها وظهور الدول المستقلة فى شرق العالم الإسلامى وغربه ، وانحلال وسط الدولة الإسلامية ، وظهور خلافات اسلامية فى بغداد وقرطبة وشمال إفريقيا حتى هانت هذه الدولة على نفسها ، وتمكنت منها جحافل الصليبيين القادمة من وراء البحر ، وتمكنت هذه القوى من انزال الهزيمة بالقوات الإسلامية والاستقرار فى قلب العالم العربى واقامة امارات لاتينية فى طرابلس والرها وأنطاكية وبيت المقدس ، وسيطرت على مقاليد الأمور فى بلاد الشام وتطلعت الى غزو مصر .

لم يتخلص العالم الإسلامى من هذا الكابوس الغربى الا بعد مجهود كبير من أجل اعادة توحيد الجبهة الإسلامية - على الأقل المواجهة للصليبيين - وهو مجهود بدأه عماد الدين زنكى الذين تمكن من إسقاط إمارة الرها ، وجاء من بعده ابنه نور الدين محمود الذى حمل على عاتقه أمانة استكمال مشروع والده فخطا نحو توحيد بلاد الشام خطوات واسعة ، وأرسل جيوشه الى مصر لحمايتها من الصليبيين ، وقلم أظافرهم فى كثير من المواطن حتى غدا على وشك الدخول فى معارك حاسمة من أجل استرداد أنطاكية وبيت المقدس .

خلف صلاح الدين الأيوبي سيده نور الدين فى اكمال مشروع الوحدة الإسلامية فى مواجهة الصليبيين وحقق فى هذا المجال خطوات أوسع آتت ثمارها بانتصاره الخالد على الصليبيين فى معركة حطين ١١٨٧ م واسترداد بيت المقدس بعد أكثر من سبعين

عاما من احتلاله كما تمكن صلاح الدين من تحطيم موجات الحملات الصليبية الكبرى التى تدفقت على المنطقة بقيادة ملوك أوروبا الكبار الى أن انتهى الى عقد صلح الرملة معهم وان ظل الصراع طويلا بين الأيوبيين والصليبيين .

مالبث الضعف الإسلامى وتفكك دوله وقواه أن سمحا بتعرض بلاد المسلمين لأعنف غارة بربرية عرفها التاريخ تمثلت فى الاكتساح المغولى الذى دمر بلاد ماوراء النهر وأنزل ببلاد العراق عامة وبغداد خاصة أفدح الخسائر وأقسى صنوف التدمير والإبذاء والتعذيب والتخريب بصورة لم تعرفها البشرية من قبل وذلك بقيادة جنكيزخان.

انحج المغول بعد ذلك بقيادة هولاكو الى بلاد الشام ولم تستطع أية قوة هناك التصدى لهم ووصلوا فى زحفهم الى غزة قرب الحدود المصرية .

توحدت صفوف المصريين بقيادة السلطان قطز والمجاهدين من أهل الشام وأمكنهم إنزال هزيمة بالنتار فى عين جالوت كان لها بعد الله سبحانه وتعالى الفضل فى انقاذ العالم الإسلامى بل والعالم بأسره .

وأبرز الأمثلة على أن قوة المسلمين فى تضامنهم يمكن أن نراها فى استعراضنا للتاريخ الأندلسى .

ففى فترات وحدة المسلمين أمكنهم الوصول الى بواتيه فى فرنسا وخلافهم أدى الى قيام الممالك المسيحية فى شمال غرب أسبانيا ، وحين توحدت قواهم على عصر الإمارة ارتقت الأندلس حضاريا حتى أصبحت بلادهم موئل النور فى كل أوروبا .

ويشهد عصر الخلافة بأنه العصر الذهبى للمسلمين فى الأندلس فى كل مجال من مجالات الحياة ، وغدت قرطبة مطمحا لكل راغب صداقة من كل بلاد الدنيا ، وجاءتها

الرسل والوفود تحمل الهدايا وتخطب ودها .

وحين تمزقت بلاد الأندلس على عصر ملوك الطوائف أمكن لألفونسو السادس ملك قشتالة من الاستيلاء على طليطلة وهى فى وسط العالم الإسلامى وأنزل السيد القمبيطور ضرباته على بلنسية حتى أحرق قاضيتها حيا وأباد النورمان تقريبا سكان برشتر ، ولم ينقذ المسلمين من هذا الهوان إلا وحدتهم مع المرابطين تلك الوحدة التى أمكنها انزال هزيمة قاصمة بمالك شمال إسبانيا فى معركة الزلاقة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م.